**المادة : تاريخ الدولة العباسية**

**المرحلة : الثالثة**

**قسم التاريخ**

**مدرس المادة : د. إنعام حميد شرموط**

**مفردات المادة**

**المحاضرة السابعة**

**نكبة البرامكة**

**البرامكة** :- هم اسرة فارسية من بلخ يرجع نسبهم الى برمك وهو منصب رئيس سدنة معبد التوبهار في مدينة بلخ . وعندما قامت الدعوة العباسية انتمى لها خالد بن برمك الذي كان احد الدعاة السبعين في مدينة بلخ ،وامتاز هذا الرجل بمقدرة ادارية ،بانت عليه في بداية الدولة العباسية ، حيث تولى بعض المهام الادارية والمالية ، من خلال توليه لمنصب مسؤول ديوان الخراج فبانت مقدرته الادارية والمالية ،فلفت اليه انظار الخليفة العباسي الاول ابو العباس وتولى وزارة التنفيذ في عهد الخليفة ابو العباس، بعد مقتل ابي مسلمه الخلال وعمل مستشار للمنصور بعد توليه الخلافة ، وبانت مقدرتة في بناء بغداد اذ تبين له ان كلفة نقل اللبن من ايوان كسرى هي اعلى كلفة من انتاجه في موقع العمل : وفي عهد الخليفة المهدي تولى ولاية فارس سنة ١٦٣ هـ فضبظ امورها.وكان من ابرز اولاد خالد، يحيى الذي لاتقل كفاءته عن ابيه فارتبط مع الرشيد وتولى الكتابة له ، قبل توليه الخلافة ، وكان ليحى بن خالد ولدان هما الفضل وجعفر وقد لعب البرامكه دورا واضحا في دعم الرشيد ووصوله الى الحكم ،ولما بويع الرشيد بالخلافة حفظ ليحى فضله فقلده وزارته ومنحه صلاحيات واسعة جدا ، وقال له (( لقد قلدتك امر الرعيه ، واخرجته من عنقي اليك ، فاحكم في ذلك بماترى من الصواب ، واستعمل من رايت ، واعزل من رايت ، وافضى الامور على ماترى)) فكانت الدواوين كلها بيده ، وكانت الكتب تصدر من ديوان الخراج باسمه ، ولم تكن تصدر من قبل الاعن الخليفة نفسه . واستطاع يحيى بمساعدة ولديه الفضل وجعفر من ادارة الدولة العباسية

مدت سبعة عشر عاما ، وكان الفضل وهو اخو الرشيد بالرضاعة . والذي عهد اليه الرشيد بتربية ابنه الامين وتدريبه كما ولاه الرشيد عددا من الولايات وحقق تقدما ملموسا في ادارة تلك المناطق ، فاحبه الناس في خراسان بعدما اسقط عنهم دفاتر البقايا ( الديون) بموافقة مبدئية من الخليفة هارون الرشيد ، وكانت هذه المبالغ التي تتضمنها دفاتر البقايا ،تقلق السكان وتقض مضاجعهم ، كما حفر الترع والقنوات وبنى المساجد والزوايا ،فحسنت سيرته في اهل خراسان . اما جعفر فقد اختص بمنادمة الرشيد ، فكان لايفارقه في ليل اونهار او سفر او اقامه اوحرب ، او سلم ، وقد خاف والده بما ستؤول اليه نتيجة هذه العلاقة الوثيقة جدا مع الرشيد.

كما تولى محمد بن خالد حجابة الرشيد . اما موسى بن خالد فقد تولى بلاد الشام و كما اشترك جعفر مع الخليفة الرشيد في النظر في المظالم . وقلده الاشراف على دور الضرب و كما امر بكتابة اسم جعفر على الدراهم والدنانير ، وقلده المغرب وشمال افريقيا ، وتشير هذه المكانة التي وصل اليها البرامكه عن النفوذ الذي بلغوه فضلا عن ان الكثير من الموظفين الاداريين في مختلف وظائف الدولة ، كانوا من صنائعهم بحيث ان الرشيد بعد عزلهم كان يجد صعوبة بالغة في العثور على أي موظف ،لكي يعينه في أي منصب ، فيجده من اعوان البرامكه.

<u>عزل البرامكه:</u>

بعد هذه المكانة التي وصلها البرامكه ، في ادارة الدولة العباسية وتنفذهم الكبير هم واعوانهم ،ومكانتهم عند الخيزران والتي كانت بمثابة السد لهم الذي يقيهم كل مكروه ، فقد كان يحيى لايصدر الاعن امر الخيزران في حياة المهدي والرشيد ، وعندما توفيت الخيزران ذهب الدعم الذي كانت تقدمه .

وهنا لابد ان ندرك ان سلطة البرامكه المطلقة لم تستمر اكثر من اربع سنيين ذلك ان وفاة الخيزران سنة ١٧٣هـ كانت بداية لنهاية نفوذهم الذي بدأ يتقلص بصورة تدريجية رغم انها بطيئة . لا لأن الخيزران كانت السند المهم ليحيى البرمكي . فحسب بل لان موتها اضفى الجو ليحيى البرمكي واولاده لكي يتصرفوا في الامور وحدهم اكثر من ذي قبل ،الامر

الذي جعل الخليفة يشعر اكثر من أي وقت مضى بثقل نفوذهم وتماديهم . ولكن الرشيد تخلص منهم سنة ١٨٧هـ.

وقد حار المؤرخين في سبب سقوطهم فاختلفت الروايات الموضوعة بالروايات الشعبية وحبكت القصص والاساطير وتداخلت بالوقائع التاريخية الحقيقية حتى بات من الصعب التفريق بينهما .ولعلنا ننفي منذ البداية ( اسطورة العباسة) اخت الرشيد وقصة زواجها الصوري من جعفر البرمكي لانها رواية لاتقف امام النقد الداخلي لمتن الرواية ولا امام النقد الخارجي فالرواية يرويها الطبري دون سند او سلسلة رواة. وليس لها ذكر في كتب الدينوري واليعقوبي والاصفهاني وهم من اوائل من كتب في احداث العراق في هذه الفتره.

ويناقش ابن خلدون هذه القصة وينفيها اصلا ولايعقل ان تقدم العباسة على ذلك وعصرها قريب عهد ببداوة العروبة وسذاجة الدين فأين يطلب الصون والعفاف اذا ذهب منها ؟ وانكر العديد من المؤرخين هذه الاسطورة التي وضعتها الاقلام الفارسية الحاقدة وخاصة وان متنها يغلب عليه الطابع الاسطوري المختلق .

هذا من جهه ومن جهه اخرى فالعباسية كانت متزوجة من محمد بن سليمان وتوفي عنها ثم تزوجت ثانيه وثالثه فلم تبق دون زوج حتى ان الشاعر ابا نؤاس اخذ يتندر في شعره بامرها ويقول اذا اراد رجل الموت فما عليه الا الزواج من العباسية . وكانت القيم والتقاليد قوية وفعالة في عصر الرشيد فان هذا الخليفة جعل ابنه الامين وهو من ام عربية وليا اولا للعهد فكيف يوافق على زواج اخته من مولى اعجمي ؟ وكيف يتم الزواج والخليفة لاعلم له . واذا كان الزواج صوريا فكيف يوافق عليه الخليفة مع انه ينافي الشريعة الاسلامية التي لاتقرر زواجا بالصورة التي توردها الرواية .

ومن الروايات تلك تدعي ان سبب سقوطهم هو ميلهم الى العلويين وهذه روايات ضعيفة موضوعة وليس لها مايبررها كما ان البرامكه يظهرون في روايات اخرى وكأنهم اعداء للعلويين على اننا لانعتقد بان البرامكه كانوا موالين سياسيا للقضية العلوية وربما اظهروا في مناسبة او اكثر تعاطفهم مع بعض العلويين او سمحوا في مجالسهم بمناقشة الافكار والاراء العلوية كما كانت تناقش اراء عديده اخرى وليس لدينا روايات موثوقة تدل على اخلاصهم للقضية العلوية او ولائهم لشخصية سياسية علوية ،وهنالك عدة عوامل ادت الى سقوط البرامكه منها :

**٠١ سطوتهم السياسية ونفوذهم الاداري : فالوقائع تثبت ان سقوط البرامكه لم يكن وليد انفعال مفاجئ من قبل الخليفة بل كان تدابيرا مخططا له ولدته احداث تراكمت على بعضها لعل ابرزها نفوذهم الكبير في البلاد والادارة والمجتمع فكان جغفر البرمكي يتصرف وكأنه الخليفة . واصبحت ليحيى البرمكي الوزارتان وهما ادارة الدواوين والخاتم . وكان الفضل يسمى الوزير الصغير لانه كان اداريا متنفذا وكان يحيى يرى بان الفضل سيخلفه في المسؤولية .**

**ان هذه السطوة اثارت شكوك الرشيد واذكت فيه تجاربه المريرة فحز ذلك في نفسه وشعر بان كرامته قد اهينت وهو شي كما يقول ابن الطقطقي (( لاتحتمله نفوس الملوك )) وقد عبر الجهشياري عن موقف الرشيد قائلا بان الرشيد ندد بيحيى البرمكي متهما اياه ( استبد بالامور دوني وامضاها على غير رأيي وعمل بما احبه دون محبتي) .**

**٠٢ السبب الثاني : هو جمعهم للثروة والاموال بين ايديهم وهذا مايبرر كثرة عطاياهم وسخاءهم الكبير الذي فاق عطايا الرشيد رغم مانعرف عنه من الكرم ويظهر من بعض الروايات انهم حجزوا عنه الاموال ولذلك اتهمهم بأنهم (( نهبوا مالي وذهبوا بخزائني )) وان الرشيد لم يمر بقصر او ضيعه او بستان ، وسل عنه الاوقيل له هو للبرامكه .**

**٠٣ اما السبب الاخر فهو حبهم للنقاش والجدال في امور السياسة والعقيدة والكلام ويظهر ان مجالسهم كانت حافلة بالكتاب والادباء والمفكرين والشعراء واصحاب العقائد والمذاهب المختلفة وكانوا لايتحرجون في نقاش مسائل عديدة سياسية ومذهبية ، وتشير روايات تاريخية ان جعفر البرمكي كان يسمح للعلويين في حضرته لمناقشة مسائل تتعلق بالنص والاختيار والاحقيه في الخلافة وربما كان ذلك سبب في اتهامهم بالتشيع للعلويين او للمعتزلة او جعلهم من انصار الزندقه او المجوسية والمعروف ان موقف البرامكه هذا على عكس موقف الرشيد الذي كان يتحرج في النقاش والجدال في الدين خاصة ولعل موقف الرشيد الذي كان له مايبره يعود الى سبب ديني ذلك لانه يعتقد ان الجدال يؤدي الى الخلط والتشويه وخاصة على العامة من الناس كما انه يسمح لمذاهب هدامة معادية بالانتشار ويعود كذلك الى سبب سياسي لانه يعتبره خطرا على سلامة وامن الدولة لانه يؤدي الى استفحال التيارات السياسية المعادية ثم ضعف عوامل التماسك وغلبة عوامل الانفصام .**

**٠٤ اما العامل البارز الاخير في سقوط البرامكه فيعود الى تكتلات ضد كتلة البرامكه ولعا ابرز من يمثل الكتله المعادية لهم هو الفضل بن يونس حاجب الخليفة الذي سعى بهم وواغر قلب**

الرشيد عليهم . كما ان علي بن عيسى اتهم موسى بن يحيى البرمكي بمحاولة التآمر على الدولة في خراسان . وتكلم محمد بن الليث ضدهم وذكر الرشيد بمسؤولياته تجاه الامة وكانت البرامكه تكره ابن الليث هذا (( لان فيه ميلا على العجم )) كما ان البرامكه كانت منحرفة عن القائد العربي يزيد بن مزيد الشيباني ولم تكن علاقة زبيدة ام الامين وديه مع البرامكه وكانت تشكوهم باستمرار الى الخليفة الرشيد هذا اضافة الى علاقة الفضل البرمكي بالخليفة ساءت بعد ان نكث الرشيد بعهده ليحيى بن عبد الله العلوي الذي استسلم للفضل البرمكي بعد ان اقنعه هذا الاخير بالعفو والامان . ولاننسى كره بعض الهاشمين لهم كما ان ابن خلدون يقول ان بني قحطبه وهم عرب يمانيه كانوا اعداء للبرامكه . ولعل هذه الرويات تشير الى ان للبرامكه ميل الى العجم وانهم حاولوا ادخال مظاهر الحضارة والقيم الفارسية الى المجتمع العربي الاسلامي الامر الذي انكرته وحاربته جماعات اخرى في البلاط والمجتمع .

واغلب الظن ان هذه العوامل الاربعه قررت مصير البرامكه فبعد ان رجع الرشيد من الحج سنة ١٨٧هـ ووصل الى الانبار اوى الى فراشه مبكر ثم دعا مسور الخادم وامره بضرب عنق جعفر وسجن بقية افراد اسرة البرامكه وصادر اموالهم وكتب الى جميع الولاة والاقاليم بالقبض على انصارهم وحذر الناس من ايوائهم والتعامل مع اعوانهم . وهذا يدل على ان الخطه كانت مبيته ضدهم . ولم تكن مفاجئه.

لقد صورت الشعوبية سقوط البرامكه وكانها مذبحة مأساوية والواقع ان الرشيد لم يقتل منهم الاجعفر اما يحيى والفضل فقد امر بحبسهما وقد توفي الاول سنة ١٩٠هـ والثاني ١٩٣هـ.

ولعل سقوط البرامكه بالسهوله هذه تدل على مدى قوة الخليفة العباسي ومدى وهن الاراء المبالغة التي تبرز دور الفرس في الحياة السياسية والادارية للدولة والخطأ الكبير الذي وقع به المؤرخون الذين ادعوا بان الدولة العباسية قسمة بين العرب والفرس . فقد كان العرب ولما يزالوا في عهد الرشيد اصحاب اليد الطولى في الامر .